

## المحور الثاني: "القانون"

يُعدّ القانون من أهم الدعائم التي يقوم عليها تنظيم الحياة داخل المجتمع، فهو الإطار الذي يضبط سلوك الأفراد ويحدد حقوقهم وواجباتهم، بما يضمن تحقيق النظام والعدالة وحماية المصلحة العامة. فحيثما وُجد المجتمع، وُجدت الحاجة إلى قواعد تنظم علاقاته وتحد من التجاوزات، وهو ما تجسده القواعد القانونية. القانون بهذا المعنى ليس مجرد نصوص جامدة، بل هو مجموعة من القواعد الملزمة التي تصدر عن السلطة المختصة وتُفرض على الجميع تحت طائلة الجزاء<sup>1</sup>. كما أن القانون يعكس القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمجتمع، ويتطور تبعاً لتطور هذا المجتمع وحاجاته المتغيرة. ومن خلال دراسة محور القانون، يسعى الطالب إلى فهم ماهية القاعدة القانونية، خصائصها، مصادرها، وأنواعها، إضافة إلى علاقتها بالقواعد الاجتماعية الأخرى كالديانة والأخلاق والعادات، مما يشكل المدخل الأساسي لدراسة الفروع القانونية المختلفة كالقانون المدني، الجنائي، الإداري، والدستوري.

### أولاً: تعريف القانون

يعد القانون مصدر للالتزام بإنشائه التزامات مباشرة على الأفراد دون الحاجة لاتفاق أو فعل إرادي أو لا إرادي منهم، وعرف بعدة تعريفات اختلف الفقهاء فيها بحسب زاوية النظر إليه، غير أنهم يجتمعون على كونه مجموعة من القواعد التي تنظم سلوك الأفراد داخل المجتمع وتكفل احترامها بواسطة جزاء مادي تفرضه السلطة العامة، ومن أبرز هذه التعريفات ما يلي:

- **التعريف العام:** القانون هو مجموعة القواعد العامة المجردة التي تنظم العلاقات بين الأشخاص في المجتمع، والتي تُلزمهم باحترامها تحت طائلة الجزاء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني - نظرية الالتزام بوجه عام، القاهرة: دار النهضة العربية، 1998، ص. 5.  
<sup>2</sup> بلقاسم، محمد. مدخل إلى العلوم القانونية، المرجع السابق، ص. 14.

- **تعريف فقهاء القانون العام:** القانون هو مجموعة القواعد التي تصدرها السلطة المختصة في الدولة لتنظيم شؤون الأفراد والعلاقات العامة والخاصة.<sup>3</sup>
- **تعريف الفقه الحديث (السنهوري):** يرى الدكتور عبد الرزاق السنهوري أن القانون هو مجموعة القواعد التي تنظم سلوك الأشخاص في المجتمع، والتي يُجبر الأفراد على احترامها عند الاقتضاء بواسطة السلطة العامة.<sup>4</sup>
- **التعريف الوظيفي:** القانون هو وسيلة لتنظيم التعايش الاجتماعي وضمان العدالة وحماية الحقوق والمصالح المشروعة للأفراد والجماعات.<sup>5</sup>

#### • خصائص القاعدة القانونية

- تتميز القاعدة القانونية بعدد من الخصائص التي تجعلها تختلف عن غيرها من القواعد الاجتماعية كقواعد الأخلاق والدين والعادات. وتتمثل أهم هذه الخصائص فيما يلي:<sup>6</sup>
- القاعدة القانونية عامة ومجردة: أي أنها لا تخاطب شخصاً بعينه، بل تنطبق على جميع الأفراد الذين تتوافر فيهم الشروط التي تحددها، مما يضمن المساواة أمام القانون.
- مثال ذلك: قاعدة "العقد شريعة المتعاقدين" لا تخص طرفاً معيناً، بل تسري على كل من يبرم عقداً.
- القاعدة القانونية ملزمة: فهي تفرض على الأفراد احترامها والخضوع لها، وإلا تعرض المخالف للجزاء الذي توقعه السلطة العامة، وهو ما يميزها عن القواعد الأخلاقية التي لا يترتب على مخالفتها جزاء مادي.
- القاعدة القانونية اجتماعية: تنشأ القاعدة القانونية لتنظيم العلاقات داخل المجتمع، فلا يمكن تصورها إلا في جماعة بشرية، إذ لا معنى للقانون في غياب المجتمع.

<sup>3</sup> عمر اوي، علي، القانون العام والمدني: مدخل عام، المرجع السابق، ص11.

<sup>4</sup> السنهوري، عبد الرزاق، الوسيط في شرح القانون المدني - نظرية الالتزام بوجه عام، المرجع السابق، ص5.

<sup>5</sup> قاضي، أحمد، القانون وفلسفة العدالة، المرجع السابق، ص9.

<sup>6</sup> السنهوري، عبد الرزاق، الوسيط في شرح القانون المدني - نظرية الالتزام بوجه عام، المرجع السابق، ص6.

- القاعدة القانونية مقرونة بجزء مادي: فالجزء عنصر جوهري فيها، يضمن تنفيذها، وقد يكون ردعاً، أو تعويضاً، أو بطلاناً، أو تنفيذاً جبرياً بحسب طبيعة القاعدة.

### • أمثلة عن الالتزامات الناشئة عن القانون

تتعدد الالتزامات القانونية بتعدد المجالات التي يتدخل فيها المشرع لتنظيم العلاقات بين الأفراد أو حماية المصلحة العامة. وبوجه عام، يمكن تصنيف الالتزامات الناشئة عن القانون إلى أنواع رئيسية بحسب طبيعتها والغرض منها:

- الالتزامات ذات الطابع الأسري: وهي الالتزامات التي ينشئها القانون في نطاق الأسرة، حمايةً للعلاقات الأسرية وضماناً للتكافل العائلي.

مثال ذلك: التزام الأب بالنفقة على أولاده، والتزام الزوجين بالمساكنة والمعاشرة بالمعروف.

- الالتزامات ذات الطابع المدني: وهي الالتزامات التي يقرها القانون في العلاقات الخاصة بين الأفراد، دون أن تستند إلى عقد أو خطأ، وإنما إلى نص قانوني مباشر.

مثال: التزام الجار بعدم الإضرار بجاره، أو التزام الشركاء بتحمل نفقات حفظ المال المشترك.

- الالتزامات ذات الطابع التجاري أو المهني: يفرض القانون على بعض الفئات المهنية أو التجار التزامات خاصة تتعلق بتنظيم المهنة أو حماية الغير.

مثال: التزام التاجر بمسك الدفاتر التجارية، أو التزام الطبيب بالمحافظة على أسرار المريض.

- الالتزامات ذات الطابع العام أو النظامي: وهي الالتزامات التي يقرها القانون لتحقيق مصلحة عامة أو نظامية، وتُعد من النظام العام بحيث لا يجوز الاتفاق على مخالفتها.

مثال: التزام المواطنين بأداء الضرائب والرسوم، والتزام العاملين باحترام القوانين التنظيمية والإدارية.

**ثانياً: طبيعة الالتزام الناشئ عن القانون**

يُعد القانون أحد أهم مصادر الالتزام في القانون المدني، إذ تنشأ عنه التزامات مباشرة ومستقلة دون الحاجة إلى اتفاق أو خطأ من أحد الأطراف. ويُقصد بالالتزام الناشئ عن القانون، ذلك الالتزام الذي يفرضه المشرع مباشرة على عاتق الأشخاص لتحقيق مصلحة عامة أو خاصة.<sup>7</sup>

وتتجلى طبيعة هذا الالتزام في كونه:

- 1- التزاماً قانونياً بحتاً، لأن مصدره ليس الإرادة أو الفعل الضار، بل هو النص التشريعي ذاته الذي يُنشئه ويحدّد شروطه وآثاره.<sup>8</sup>
  - مثال: التزام الأب بالنفقة على أولاده، والتزام الشركاء بالمساهمة في نفقات الشركة، أو التزام المؤجر بصيانة العين المؤجرة.
  - 2- التزاماً مباشراً ومستقلاً، فهو لا يحتاج إلى اتفاق أو تصرف قانوني لقيامه، بل يكفي توافر الحالة التي نص عليها القانون ليجوز للأطراف الاتفاق على مخالفته أو إعفائها منه، لأن القواعد القانونية التي تُنشئه
  - 3- التزاماً أمراً لا يجوز للأطراف الاتفاق على مخالفته أو إعفائها منه، لأن القواعد القانونية التي تُنشئه من النظام العام، أي تُعبر عن إرادة المشرع في حماية مصالح المجتمع.<sup>10</sup>
- وتختلف الالتزامات الناشئة عن القانون عن تلك الناتجة عن العقد أو العمل غير المشروع، من حيث أن الأولى تستمد وجودها مباشرة من النص القانوني، بينما الثانية تقوم على الإرادة أو الفعل.

<sup>7</sup> بلقاسم، محمد. مدخل إلى القانون المدني، المرجع السابق، ص. 71.

<sup>8</sup> السنهوري، عبد الرزاق. الوسيط في شرح القانون المدني - مصادر الالتزام، المرجع السابق، ص. 45.

<sup>9</sup> عمراوي، علي. القانون المدني الجزائري: الالتزامات، المرجع السابق، ص. 33.

<sup>10</sup> قاضي أحمد. القانون المدني العام، المرجع السابق، ص. 29.

**ثالثاً: أهمية القانون كمصدر للالتزام**

يكتسب القانون مكانة أساسية كمصدر للالتزام لعدة أسباب تتعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية وضمان حماية الحقوق. ويمكن تلخيص أهميته فيما يلي<sup>11</sup>:

- 1- تحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد: الالتزامات الناشئة عن القانون تفرض قواعد موحدة على جميع الأشخاص، مما يضمن المساواة أمام القانون ويحد من التمييز أو التعسف في العلاقات القانونية.
- 2- ضمان الوفاء بالحقوق وحماية المصالح: القانون يحدد بوضوح واجبات المدين وحقوق الدائن، مما يسهل ممارسة الحقوق المدنية وحماية المصالح الفردية والجماعية.
- 3- تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية: الالتزامات القانونية تساعد على تنظيم التعايش بين الأفراد وتنظيم المعاملات الاقتصادية، مثل التزامات النفقة، والعقود التجارية، والمسؤوليات المهنية.
- 4- الوقاية من النزاعات وتقليل اللجوء إلى القضاء: من خلال النصوص القانونية الواضحة، يمكن للأفراد الالتزام بما يفرضه القانون قبل وقوع النزاع، مما يقلل من الاحتكاكات القانونية ويضمن سير النظام الاجتماعي بسلاسة.<sup>12</sup>
- 5- استقرار العلاقات القانونية: بما أن الالتزامات القانونية مقرونة بالنظام العام ولا يجوز مخالفتها بالاتفاق، فإنها تساهم في استقرار المعاملات وتحديد حقوق وواجبات الأطراف بشكل نهائي.

**رابعاً: التمييز بين القانون وغيره من المصادر**

في الجدول التالي سنعرض أمامكم الفرق بين القانون والمصادر الأخرى للالتزام في مقارنة بينهم:

<sup>11</sup> بلقاسم، محمد. مدخل إلى القانون المدني، المرجع السابق، ص 74.

<sup>12</sup> المرجع نفسه، ص 75.

| الإرادة المنفردة                            | الفعل الضار                          | الفعل النافع                                  | العقد                   | القانون                    |                  |
|---|--------------------------------------|---|-------------------------|----------------------------|------------------|
| اتفاق مبني عن إرادة شخص واحد                | خطأ يسبب ضرراً                       | نفع يتحقق دون سبب مفروض                       | اتفاق بين ارادتين       | قاعدة قانونية آمرة وملزمة  | من حيث أصل الفعل |
| يعتمد إرادة طرف واحد                        | لأنه خطأ فلا يعتمد على إرادة الأفراد | إرادة الطرف الفضولي                           | يعتمد على إرادة الأفراد | لا يعتمد على إرادة الأفراد | من حيث الإرادة   |
| الالتزام نافذاً قانونياً بمجرد صدور الإرادة | المسؤولية التقصيرية                  | ردّ المنفعة أو التعويض عن الفعل إذا استحق ذلك | المسؤولية العقدية       | الطابع الإلزامي الأمر      | من حيث الآثار    |

### خامساً: آثار الالتزامات الناشئة عن القانون

يترتب على الالتزامات التي ينشئها القانون مجموعة من الآثار القانونية التي تنظم العلاقة بين الدائن والمدين، وتحدد كيفية تنفيذ هذه الالتزامات والجزاء المترتب على الإخلال بها. وتتمثل أهم هذه الآثار فيما يلي:

1. النفاذ الإجباري للالتزام: بما أن الالتزام القانوني مصدره نص تشريعي أمر، فإن تنفيذه واجب على

المدين دون حاجة إلى رضاه، ويملك الدائن أو السلطة المختصة إجباره على الوفاء به عند

الامتناع.<sup>13</sup>

- مثال: تنفيذ التزام الأب بالنفقة قهراً عن طريق الحجز على أمواله عند امتناعه.

<sup>13</sup> السنهوري، عبد الرزاق. الوسيط في شرح القانون المدني - مصادر الالتزام، المرجع السابق، ص 49.

2. الجزاء عند الإخلال بالالتزام: في حال عدم تنفيذ الالتزام الناشئ عن القانون، يُرتب المشرع جزاءً مادياً أو مدنياً يختلف باختلاف طبيعته، كالتعويض، أو التنفيذ العيني، أو البطلان، أو حتى العقوبة في بعض الحالات.<sup>14</sup>
3. عدم جواز الاتفاق على مخالفته: لأن الالتزامات القانونية تُعتبر من النظام العام، فلا يجوز للأفراد الاتفاق على إسقاطها أو تعديلها بما يخالف روح التشريع.  
مثال: لا يجوز الاتفاق على إعفاء الأب من نفقة أولاده أو التاجر من مسك دفاتره التجارية.
4. حماية المصلحة العامة والخاصة معاً: تهدف هذه الالتزامات إلى تحقيق توازن بين مصلحة الفرد والمجتمع؛ فبعضها يحمي الحقوق الفردية، وبعضها الآخر يهدف إلى ضمان سير النظام الاجتماعي والاقتصادي العام.<sup>15</sup>

<sup>14</sup> بلقاسم، محمد. مدخل إلى القانون المدني، المرجع السابق، ص 73

<sup>15</sup> قاضي، أحمد. القانون المدني العام، المرجع السابق، ص 33.